المرأة في الأدب الإسلامي

مقدمة:

أولى الإسلام المرأة اهتمامًا كبيرًا ونظر إليها نظرة تكريمٍ واعتزازٍ، فالمرأة في الإسلام هي الأم والأخت والابنة والعمة والخالة والجدة والزوجة وشريكة الرجل في تَحَمُّل مسؤوليات الحياة، وقد كلَّفها الله مع الرجل في النهوض بمهمة الاستخلاف في الأرض، وتربية الأبناء وتنشأتهم تنشئة سوية، وجعلها على درجة واحدة مع الرجلمكانة المرأة في الأدب العربي بعد الإسلام

إن بزوغ فجر الإسلام في العرب أدى إلى أفق جديد ثقافيا وطبعيا واجتماعيا ولغويا. وهناك حضور قوي مؤثر للمرأة على نطاق واسع منذ سحق الإسلام إلى لهجة جديدة ومنوال خاص طوال مسيرة تاريخ الأدب الإسلامي . إن نزول القرآن وإعجازه في اللغة العربية قد جعل الأمة العرب إلى أوج الأدب واللغة وإن بلاغته وفصاحته قد جعل الأدباء فيه في غربة ودهشة. إن هذا النظام الاجتماعية التي تحلى بالإسلام أعانت المرأة لاحتياز حقوقها الكاملة و مناصبها الرائعة الذائعة في المجتمع بلا مثال من قبل كالأم الرؤوف و الزوج الحنون والبنت العطوف. فبهذا سارت إلى قمة النهضة الجديدة وإلى قبة الثقافة السامية حيث هذه التطورات إلى إفق جديد من حريتها و حقوقها في إشعال روح اللغة العربية وإقامة راياتها المرفرفة نقطة في تاريخ صفحات الأدب العربي. وفبذلك أن لوج المرأة في الأدب العربي كان بلهجة جديدة. إنها دخلت إلى جميع أنواع الأدب حتى في معنى القرآن وتعليماته بصورة فصحى و دورها وإسهاماتها قد دخلت في ساحة التفسير والحديث وأدب الفقه الإسلامي وفي مجال الصوفية بالأدب والنثر الإسلامي وفي هنا يوسع بحدث نطاق دروها.

لا يغرب عن ذي الألباب أن تعليمات الإسلام قد أدت الأمم إلى أحسن التعامل وإلى حضارة جليلة. فبذلك صارت لهجات الأدب ومنوال تعبيرها إلى صورة حسنة حتى انجب الأسلام النساء البارعات إلى الأدب والثقافة .إن عائشة (ر) تقوم في أعلى مرتبتها أنها قد روت أكثر الحديث الشريف وعبّر الكلام بأفصح الكلام وبأبلغ البلاغة. فبذا قال الأحنف بن قيس >>سمعت خطبة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (ر) والخلفاء هلم جرا إلى يومي هذا ,فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من في عائشة(ر <<(وفي خلال أيامها قد برزت أمهات المؤمنين وغيرها إلى هذا المجال في مختلف الفنون دورا رياديا من الشعر والنثر والفقه الإسلامي. اتبع بعض النساء هذا الدرب الذي مشى فيها أمهات المؤمنين. إن النسوة برزت في مختلف أنواع الأدب وفي شتى أنحاء العالم على مجرى الدهر حتى سجلن توقيعاتهم في صورة ظاهرة بجهودهن الخلص. إن تاريخ الأدب يعد في أيامها الغابرة الأدب في العصر الأموي و العباسي. و لاكن طول البحث يشجع ألا يلوج فيه لوسعة مباحثه.

وهناك نماذج مختارة ممن برزت في ساحة التفسير والحديث وأدب الفقه الإسلامي والصوفية ومن أهمها في التفسير كتفسير عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ المسمى ب\''التفسير البياني للقرآن الكريم\'' وتفسيرداقية زينب الغزالي المسمى ب\''نظرات في كتاب الله\'' وتفسير حنان اللحام المسمى ب\''سلسلة نظرات في كتاب الله \''وتفسيرنائلة بنت هاشم صبري المسمى ب\''المبصر لنور القرآن\''. إن الدهر يعد في أصحاب أدب الفقه الإسلامي فاطمة بنت أحمد رفاعي وعائشة باغونية وقريش بنت عبد القادر. إن الأدبية الصوفية وأقوالهن المؤثرة كرابعة العدوية قائدة الصوفية وعائشة الباغونية الشاعرة الفقيهة ممثلة الصوفية في العصور الوسطي رمزيات جلية في أدب الإسلامي. تقوم في مكانة عالية لافتخار المرأة بحقيقتها بعد هذا العصر حيث ظهرت في النثر الإسلامي والقصة القصيرة والروايات والمسرحية بلهجة جديدة.

ملامح صورة المرأة في الأدب العربي الحديث

التحولات الجديدة بالتقنية الحديثة أدت المجتمع إلى يقظة جديدة وإلى نشاط كبير . هذا تسبب لتوسعة نطاق الفكر والاعتبار واستعمالها إلى نشأة جديدة حتى جعلت تشق طريقتها بخطوات متسارعة. فمن هذا التأثر, الأدب العربي شعره ونثره نهض في هذا العصر في موضوعاته وأفكاره وصوره وأساليبه ولغته. فبذلك برزت حولها مشاريع التغيير الاجتماعي. وفي خضم هذه المشاريع المتنوعة احتلت المرأة مكانة مرموقة حتى أعادت النظر في دورها الاجتماعي والمجالات المتاحة لها للتعبير عن نفسها وعلاقاتها بالرجل. الحقيقة بلا شك أن صورة المرأة العربية في الأدب العربي هي صورة تم ترسيخها بحيث أن تحولت من أداة شبقية لإثارة الغرائز كإبداع الذي تبدو فيه المرأة كذات فاعلة منتجة بقول الشاعر إلى ذات فضيلة. ومنها قد بدأت المرأة في الأدب العربي الحديث في لهجة جديدة شاملة بالمشكلات الاجتماعية والسياسية والدينية والجنسية شعرا ونثرا خاصة دخلت في الرواية والقصة والأقصوصة في هذا العصر.

إن هذا العصر عصر القرن العشرين يعتبر عصر حضارة لا بداوة. فيه ازدهرت المدن بمظاهر الترف والعمرات. وهذا يدعوا إلى شيء كثير من حرية المرأة وخروجها إلى شوارع الحياة تاركة الأزقة والأقاريز وشاركت مع الرجال في مختلف الفنون. هذا انعكس في الأدب العربي, وغيّر حضورها تناول الشعراء لصورة المرأة وتصويرها من جسد بلا روح إلى معاني الدفئ والأنوثة والحب. فبذلك إذا تصفحنا صورة المرأة في الشعر العربي المعاصر لا نجدها مقتصرة على صورة المرأة الجسد لأنها ترجع الفضيلة في المجتمع بحضورها النفسية. إن هذه الفضيلة قد أعلن إلى المجتمع شاعر المرأة المشهور نزر قباني. والجدير بالذكر إن سؤالا يرفع من بين الأدباء ومن من الشعراء كرس أشعاره وعواطفه للمرأة أكثر من نزار قباني؟ لأنه وضعها في إبداعه في مكانة الحبيبة والأم والأخت حتى أنه اشبح البلد والمدن بالمرأة فدمشق امرأة و بيروت امرأة وكذا كل العواصم. لانه قد كانت المرأة بالنسبة له قصيدة العمر وأنشودة الوجود ورحيق الجناة. وفي فمه كلمات ساحق ترقص لها المشاعر وتطرب الأحاسيس . وحفظ الناس قصائده

وتغنو بها. إن ديوانه الأول \''قالت لي السمراء\'' أحلى قصائده المكتوبة.

إن المرأة تبنى لنفسها مكانا يحميها في هذا العصر الحديث. ومن جزئها تبرز في الشعر لأن الشعر أروع أنواع الفنون العربية. ومن أمثلتها الواضحة نازك الملائكة وليلى عثمان وغيرهما. أنها عبرت معانيها وحاجاتها حيال العالم بالقوة والعزمة وسيلة الأشعار والأنثار. كانت إبداعاتها تناولت على القسوة الاجتماعية التي تقتنص حرية الفرد بكل أنواعها بالإضافة إلى معاناة المرأة وانحياز المجتمع للرجل والتغيرات الاجتماعية مع التطور الاقتصادي والتفاوت الطبقي و والقضايا الجنسية وغيرها. ومن أبرزها قول الشاعرة:

الليل يسأل من أنا

أنا سره القلق العميق الأسود

أناصمته المتمرد

قنعت كنهى بالسكوت

ولففت ساهمة هنا

أرنو ونسألني القرون

أنا من أكون؟

هنا تستعمل اللهجة المتميزة لتعبير أحزانها واحتياجاتها التي لفت في قلبها إلى قلب الناس. وكذا هنا يتحدث بعض من النساء اللاتي عبرن فكراتهم إلى أنحاء العالم على سبيل المثال:

ماري العجمي صاحبة مجلة \''العروس\'' التي كانت تؤكد أن المرأة للصدر قوة لا غني للرجال عنها, ووداد السكاكيني كانت أكثر وافقية بدى رصد حال المرأة وكان واضحا في مقالة \''المرأة نخلة\'' أما إلفت الأدلبي ونوال السعداوي وفاطمة المرنيسي فقد عرين الحياة الاجتماعية المتخلفة والقهر والهمع. وكشفن الحالة التي تعيشها المرأة منذ الطفولة وكذلك استغلالها في الأمور السياسية.

إن الشاعرات الفلسطينية كغسان منفاني حرضت أبناعها ذكورا وإناثا بشعرهن الثورية وبكتابتهن الاحتياجية لفتح أبواب العودة إلى الوطن. ولا ننسي في الغراق أخذت المرأة أقلام الكتاب والروائيين لتكتب عن نضال المرأة من أجل البقاء. هكذا وفر من النساء جعلن أن يستخدمن الصفحات والأقلام سلاحا على كل ما يعانيهم وأن لا يكن ضحية بأقلام الرجال.

حسبنا هذه النماذج القليلة عن مسيرة المرأة منذ تاريخ الأدب العربي الجاهلي إلى هذه العصر الراهن. هناك نساء لم يذكرن في هذا البحث لضيقة الصفحة . إن هذا البحث يلقي كلمته النهائية مشيرا إلى أهمية بحثه ونتائجه. إن الباحث قد عثر على دور المرأة المرموقة في الأدب العربي إلى الآن. وليس هنا أي دعوى بأنه هو الأوفى والأشمل.

ولكنه جهد متواضع للوصول إلى كنهه وغايته، ومحاولة يسيرة لرفع ستار مسدول أمام ساحة أدب المرأة العربي ولإلقاء الضوء في البيانات المختبئة في دجي الاعراض. والله يتقبل هذا منا قبولا حسنا.

المصادر المراجع

المرأة في الشعر الجاهلي-أحمد محمد الجوفي
المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها-عبد الله عفيفي
مكانة المرأة و إسهاماتها في الأدب العربي القديم-نصر الدين إبراهيم أحمد حسين
مقالة عن المرأة في الأدب العربي الحديث-ميس إبراهيم
مقالة عن صورة المرأة في الشعر العربي الحديث-أمنة عمايرية
تاريخ دمشق لابن عساكر